مقدمة المترجم

تفتقر المكتبة العربية في الوقت الحاضر إلى نصوص، أصلية كانت أو مترجمة، يمكننا وصفها بالتعمق أو الشمولية في تقديم مبادئ الـــ Optimality Theory (أو النظرية التفاضلية). ويعزى ذلك إلى الحداثة النسبية لهذا الإطار النظري الذي طرح لأول مرة في منتصف التسعينيات الميلادية، أو قد يكون ذلك بسبب قلة الباحثين والمهتمين به في عالمنا العربي. ومن هذا المنطلق وجدنا أنه لا بد من جعله في متناول القارئ العربي، سيما وأن دعاته طالما أفادوا، تصريحاً وضمناً، بقدرته على استيعاب النظام اللغوي على مختلف مستوياته التحليلية، صوتية كانت أو صرفية أو نحوية أو غير ذلك، مقدمين لهذا القرائن والاستدلالات التجريبية من عدد من اللغات الطبيعية ومعتمدين في تحليلهم على آليات تقليدية ومستحدثة بلورت خصيصاً لخدمة مقتضيات هذا الإطار النظري.

وتتمحور الفكرة الرئيسة للنظرية التفاضلية حول المبدأ المنطقي الذي يقيم مستوى نجاحنا في الوصول إلى القدر الأفضل من الأداء المتزن بمدى قدرتنا على تعريف تلك الكتلتين من القوى المتمايزة، والتي قد تعمل كل واحدة منها باتجاه يعاكس الأخرى. فنجد إحداها تهدف إلى تحقيق التمام بينما تصارع الثانية جاهدة لتحافظ على الإرث. وفي هذا الخضم من عمليات التدافع والتجاذب يصعب الفصل بين عدد من أنماط السلوك، التي لا يمكن وصفها إلا بالتباين والتضاد، الأمر الذي سيؤدي حتماً إلى إيجاد بيئة للتفاعل الإيجابي بين أدوات التغيير وأدوات المحافظة، لنخلص إلى تمثيل لا يبقي على التباين ولا يتحاشى الموسوم، تمثيل متوازن يتناسب والسمات المميزة لهذا الكون.

ومما تقدم، نستطيع أن نجد تبريراً لاعتماد مسمى "التفاضلية" لوصف مثل هذا الإطار النظري. فالذي يتم على أرض الواقع، على الأقل بالنسبة للمنظرين في هذا المجال، هو تبسيط لعملية الانتقال من المدخل إلى المخرج، كمستويين تمثيليين طرفيين لأية ظاهرة لغوية، حيث يتم ذلك عبر تسلسلية من القيود، المحفزة كونياً والمؤصلة لغوياً، والتي تقوم بدورها *بالمفاضلة* بين عدد من التمثيلات المرشحة للمخرج لتحديد أكثرها *أفضلية*، أي أقلها وأدناها حدة في الانتهاك.

أما بالنسبة للقيود، فنجد أنها تنتظم ضمن مجموعتين أساسيتين: قيود الموسومية (Markedness Constraints) وقيود المحافظة (Faithfulness Constraints). ويعتبر مفهوم الموسومية من المفاهيم التقليدية المعتمدة في أطر التحليل اللغوي. أما بالنسبة للمحافظة فهو من تلك المفاهيم المركزية التي بلورت من خلال النظرية التفاضلية، وهو يشير ببساطة إلى تلك القوى التي تناهض التغيير، أي تلك التي تهدف إلى *المحافظة* على التباينات (المفرداتية)

الكامنة، مما يجعل هذه المجموعة من القيود (أي التي تعمل على تأصيل المحافظة) في حالة تضاد مع تلك التي هدف لتفادى الموسومية، حيث أن الأخيرة تقتضي جذب التمثيلات اللغوية نحو التمام حسب مقتضيات الكونية، الأمر الذي يدعي مستويات أبعد من مجرد الأفضلية.

ومن هذه المفاهيم العامة ينطلق مؤلف هذا الكتاب، والذي أراد له أن يكون في شكل يؤهله لأن يعتمد كمادة تعليمية، فهو يناقش في الفصول الستة الأولى قضاياً فونولوجية بحتة، ثم يتوجه في الفصلين السابع والثامن إلى مباحث لغوية أخرى من اكتسابية ونحو، على التوالي، في محاولة منه للتأكيد على قدرة الإطار موضوع النقاش على التعامل تحليلياً مع النظام اللغوي بمفهومه الشامل. ولقد حاولت جاهداً كمترجم أن أتبنى المقابلات العربية الأكثر شيوعاً لترجمة العديد من المفاهيم بهدف الحد من التباين غير المبرر والذي قد يضيف جهداً تفسيرياً يطغى على المحتوى الدلالي لهذه المفاهيم.

ولا يفوتني في الختام أن أتوجه بجزيل الشكر لمركز الترجمة بجامعة الملك سعود على تبنيه لهذا المشروع ودعمه الإداري والتمويلي. كما أنني ممتن لإدارة المطابع والنشر بجامعة الملك سعود على جهودها المثمنة التي تمخض عنها صدور هذه الترجمة. والشكر موصول للمراجعين والمحررين على ما أبدوه من ملاحظات وإقتراحات، مؤكداً أنني أتحمل شخصياً مسؤولية أي أخطاء أو نواقص.

المترجم